

حاجة المسلم إلى التفاضل

إعداد: هيفاء بنت عبدالله الرشيد

الوصية: @AlWasiyyah

<https://t.me/AlWasiyyah>



@AlWasiyyah

الوصية

حاجة المسلم إلى التغافل



إعداد: هيفاء بنت عبدالله الرشيد

الوصية: @AlWasiyyah

<https://t.me/AlWasiyyah>



المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- خلق الناس، وجعلهم مفطورين على الاجتماع والمخالطة، فالإنسان مدنيًا بطبعه، وقد اقتضت حكمته -جَلَّ وَعَلَا- أن يحتاج الناس بعضهم إلى بعض للتعايش في هذه الدنيا، ابتداءً من الأسرة، ثم تتسع دائرة التعايش لتشمل محيط الجوار، والقربة والعمل والصدقة وغيرها، لتحقيق السعادة إذ أنه لا يستطيع أن يعيش الإنسان بمعزل عن الناس، وكما هو معلوم أن طباع البشر وأخلاقهم مختلفة، بحسب التربية أو الصفات الجبيلية التي خلق بها الإنسان، وبما إن الناس ليسوا بمعصومين عن الخطأ والزلة، وما من أحد إلا وله زلات، بل قد يقع الكثير مما يعكر صفو العلاقات بين الناس، إذ لا يمكن أن يعيش الإنسان في محيط إلا ويجد ما يعاكس رغباته أو يناقضها، وقد يقود ذلك عند البعض إلى التشاحن والتباغض والتقاطع، إذا لم تضبط بالضوابط الشرعية.

فمن هنا تظهر حاجة المسلم إلى التحلي بصفة مهمة، أو خلق مهم، إلا وهو خلق (التغافل)، وهذا الخلق المهم ربما غفل عنه الكثير من الناس.

فبما أن الناس يتفاوتون في أخلاقهم، وفي تربيتهم، وفي أنماط بيئاتهم، فيحتاج إلى هذا الخلق، فالناس ليسوا بالسواسية في الطباع، فقد خلق الله الناس من ماءٍ وطين، بعضهم غلب ماؤه طينه فصار ليناً، وبعضهم غلب طينه ماءه فصار حجرياً، إذا فمنهم

الهمين اللين، ومنهم الحاد، سريع الغضب، ومنهم من لم يؤته الله البقاة في اختيار الألفاظ، ولم يمن الله عليه بليين الكلام، وغير ذلك من الطباع البشرية سواء المكتسبة منها أو الجبلية، فيحتاج الناس إلى هذا الخلق المهم للتعايش بين الناس.

والواقع أن الحياة لا تستقيم ولا تهناً بكثرة اللوم، أو بكثرة العتاب، أو بتكرار المؤاخذة على الخطأ؛ والتدقيق على الآخرين، لذلك كان لا غنى للناس عن هذا الخلق الرائع، الذي أجمع العقلاء على ضرورته في التعامل بين الناس بعضهم بعضاً، وخاصة في محيط الأسرة والصداقة وذوي القربى والجيرة، وفي العمل؛ كي تسير الحياة في هدوء واستقرار نفسي وبدني، لأن المتغافل عن الزلات والمتجاهل للأخطاء التي تصدر من البعض يعيش في هدوء، ليس في قلبه غل.



حاجة المسلم إلى التغافل

أولاً: معنى التغافل:

معنى التغافل: غفل الرجل عن الشيء يغفل غفولاً فهو غافل، ورجل مغفل لا فطنة له، وقد سميت العرب مغفلاً، وغلفت الشيء تغفيلاً إذا كتمته وسترته، فالتغافل تعمد الغفلة ^(١).

وجاء في المعجم: «تغافل فلان: تظاهر بالغفلة أو تعمدها؛ أي بالسَّهو وقلة التيقُّظ، هذا الرجل ليس مُغفلاً ولكنه يتغافل» ^(٢).

ومن خلال المعنى اللغوي يمكننا القول بأن التغافل هو: الترفع عن الدنيا وسفاسف الأمور، التغاضي والتجاهل، البعد عن التدقيق في كل صغيرة وكبيرة.

فمن كمال العقل التغافل، وكما ورد عن معاوية - رضي الله عنه -: «العقل مكيالٌ، ثلثه فِطْنَةٌ، وثلثاه تغافل» ^(٣)، وقال الحسن - رحمه الله -: «مَا اسْتَفْصَى كَرِيمٌ قَطُّ» ^(٤)، وقال الشافعي - رحمه الله -: «الْكَيْسُ الْعَاقِلُ، هُوَ الْفَطْنُ الْمُتَغَافِلُ» ^(٥).

(١) [لسان العرب: (١/ ٦٥٤)].

(٢) [معجم اللغة العربية المعاصرة: (٢/ ١٦٣٠)].

(٣) [العقد الفريد: (٢/ ١٠٥)].

(٤) [تفسير البغوي: (٨/ ١٦٤)].

(٥) [الأدب الشرعية والمنح المرعية: (١/ ٢٩٤)].

إذا؛ فالتغافل غض الطرف عن بعض أخطاء الآخرين، وتجاهل ذكر المساوئ، ترفقاً بالمخطئ، وعدم التسبب في مزيد من إحراجهم وتخجيلهم؛ لحفظ ماء وجهه، والأهم من ذلك تجنباً لإصابة العلاقات بين الناس بالتصدع أو النفور التي تقود إلى الشقاق والقطيعة والتهاجر.

فالتغافل؛ منهج تربوي ودعوي واجتماعي، لا يتقنه إلا الأذكياء، فالذكي هو الذي لا يدقق في الصغيرة والكبيرة، وهذا الخلق لا يتقنه إلى من يريد أن يشتري راحته، فهذا الخلق له أثر طيب في نفس صاحبه، والناس تحتاج إليه في كثير من الأوقات، كما أنه من مكارم الأخلاق، قال ابن الجوزي - رَحِمَهُ اللهُ -: «ما يزال التَّغافل عن الزَّلَّاتِ مِنْ أَرْقى شَيْمِ الْكِرَامِ؛ فَإِنَّ النَّاسَ مَجْبُولُونَ عَلَى الزَّلَّاتِ وَالْأَخْطَاءِ، فَإِنْ اهْتَمَّ الْمَرْءُ بِكُلِّ زَلَّةٍ وَخَطِيئَةٍ تَعِبَ وَأَتْعَبَ، وَالْعَاقِلُ الذَّكِيُّ مَنْ لَا يَدْقِّقُ فِي كُلِّ صَغِيرَةٍ وَكَبِيرَةٍ مَعَ أَهْلِهِ وَأَقَارِبِهِ، وَأَحْبَابِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَجِيرَانِهِ وَزَمَلَانِهِ؛ كَي تَحُلُو مَجَالِسَتُهُ، وَتَصْفُو عِشْرَتُهُ».

نعم؛ بعض الناس يجعل من الحبة قبة في كل ما يصدر من الآخرين، أو يكثر من العتاب في كل صغيرة وكبيرة، وكما قيل كثرة العتاب تفرق الأحاب، والبعض يتقن فن تصيد أخطاء الناس، مع أنه متلبس بالأخطاء من رأسه إلى ساسه، فمثل هذه الشخصية لو عالجت نفسها كان أفضل لها.

فمثل هؤلاء الأشخاص تعب وأتعب كما قال ابن الجوزي - رَحِمَهُ اللهُ - في الأثر السابق، نافر ومنفور منه، هذا لن يجد له صديق، ولا محب، يمله الناس ويتجنبوه ويتحاشونه.

التدقيق في كل شيء والمحاسبة المستمرة، ستجعل من الإنسان إنساناً مُملاً وغير مرغوب فيه مهما كان قربه من الآخرين ومهما كان غلاه عندهم.

المسلم ينبغي أن يعذر لكي يعذر، يتعد عن ظن السوء، فالشيطان له مداخل في هذه الأمور لأن القطيعة من أهم ما يسعى لها ابليس أعاذنا الله منه.

يقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -: «لَا يَحِلُّ لِأَمْرِي مُسْلِمٌ يَسْمَعُ مِنْ أَخِيهِ كَلِمَةً يَظُنُّ بِهَا سُوءًا وَهُوَ يَجِدُ لَهَا فِي شَيْءٍ مِنَ الْخَيْرِ مَخْرَجًا»^(٦).

ولا يدل صاحب هذا الخلق النادر أنه بليد، أو لا مبالي، أو أنه غير قوي الشخصية! فليس التغافل عن الزلات دليلاً على غباء صاحبه أو سذاجته بل هو العقل والحكمة.

وقال الشاعر:

ليس الغبي بسيد في قومه لكن سيد قومه المتغابي^(٧)

وقال أبو حاتم الدارمي - رحمه الله -: «مَنْ لَمْ يُعَاشِرِ النَّاسَ عَلَى لُزُومِ الْإِغْضَاءِ عَمَّا يَأْتُونَ مِنَ الْمَكْرُوهِ وَتَرَكَ التَّوَقُّعَ لَمَّا يَأْتُونَ مِنَ الْمَحْبُوبِ كَانَ إِلَى تَكْدِيرِ عَيْشِهِ أَقْرَبَ مِنْهُ إِلَى صِفَائِهِ وَإِلَى أَنْ يَدْفَعَهُ الْوَقْتُ إِلَى الْعَدَاوَةِ وَالْبَغْضَاءِ أَقْرَبَ مِنْهُ إِلَى أَنْ يُنَالَ مِنْهُمْ الْوُدَادَ وَتَرَكَ الشَّحْنَاءَ وَمَنْ لَمْ يُدَارِ صَدِيقُ السُّوءِ كَمَا يُدَارِي صَدِيقُ الصِّدْقِ لَيْسَ بِحَازِمٍ»^(٨).

ومن هذه المواقف الجليلة في أدب التغافل، ما ذكره ابن جريج عن عطاء بن أبي رباح - رحمه الله - قال: «إِنَّ الرَّجُلَ لِيُحَدِّثَنِي بِالْحَدِيثِ، فَأَنْصِتُ لَهُ كَأَنِّي لَمْ أَسْمَعْهُ، وَقَدْ سَمِعْتُهُ قَبْلَ أَنْ يُؤَلَّدَ»^(٩).

التغافل عن الزلات والهفوات فن لا يتقنه إلا الإنسان الحكيم، وله من المحاسن والمكاسب الشيء الكثير فمنها:

(٦) [الأداب الشرعية لابن مفلح: (٤٧/١)].

(٧) [ديوان أبي تمام: (ص: ٢٨)].

(٨) [روضة العقلاء ونزهة الفضلاء: (ص: ٧٢)].

(٩) [سير أعلام النبلاء: (٨٦ / ٥)].

أول مكسب هو أن يشتري المتغافل عافيته، نعم يشتري عافيته؛ فمن فضائل التغافل ما رواه البيهقي في مناقب الإمام أحمد عن عثمان بن زائدة - رحمه الله - قال: «العافية عشرة أجزاء تسعة منها في التغافل»^(١٠)، فحدثت به أحمد بن حنبل - رحمه الله - فقال: «العافية عشرة أجزاء كلها في التغافل»^(١١).

لأن الذي يدقق في الزلات يرهق نفسه قبل الآخرين، لأنه لا يخلو أحد من نقص، فإذا وقف الإنسان على كل صغيرة وكبيرة، أرهق نفسه وأرهق الآخرين، ولن يبقى له صديق ولا قريب، وتحاشاه الناس، وسيبقى منبوذًا، وحيدًا، بغيضًا عند الناس، وإن شر الناس منزلة يوم القيامة من يتقيه الناس مخافة لسانه.

إغلاق باب للشر:

- المتغافل ينال الاحترام والحب والتقدير من الجمي، فالتغافل يحفظ كرامة الإنسان ويكسوه هيبة ووقارًا وعزًا ومكانةً بين من يعاشرهم ويخالطهم.
- نيل حب الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - لأن التغافل صفة حسنة محمودة فعن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَنْ يَحْرُمُ عَلَى النَّارِ أَوْ بِمَنْ تَحْرُمُ عَلَيْهِ النَّارُ، عَلَى كُلِّ قَرِيبٍ هَيْنٍ سَهْلٍ»^(١٢).
- طمأنينة النفس وهدوء البال والبعد عما يكدر خاطره.

(١٠) [تهذيب الكمال في أسماء الرجال: (١٩ / ٣٦٩)].

(١١) [تهذيب الكمال في أسماء الرجال: (١٩ / ٣٧٠)].

(١٢) [أخرجه الترمذي: (٢٤٨٨)، وصححه الألباني].

ثانياً: الحث التغافل من كلام رب العالمين:

لقد وردت في العديد من سور القرآن الكريم في كثيرًا من الآيات التي تبين أهمية التغافل، والتي تأمر النبي - ﷺ - بالأخذ بهذا الخلق، والتي تحث المؤمنين على التغافل فيما بينهم ابتغاء وجه الله تعالى وطمعاً في عفوه سبحانه ومثوبته.

١/ قال - سبحانه وتعالى -: ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (٣٤) (١٣):

أي ادفع ورد السيئة بالخصلة التي هي أحسن منها وهي الحسنه، كمقابلة الغضب بالصبر، والجهل بالحلم، والإساءة بالتغافل.

وقال السعدي - رحمه الله -: «لَا يَسْتَوِي فَعْلُ الْحُسْنَاتِ وَالطَّاعَاتِ لِأَجْلِ رِضَا اللَّهِ تَعَالَى، وَلَا فَعْلُ السَّيِّئَاتِ وَالْمَعَاصِي الَّتِي تُسْخِطُهُ وَلَا تَرْضِيهِ، وَلَا يَسْتَوِي الْإِحْسَانُ إِلَى الْخَلْقِ، وَلَا الْإِسَاءَةُ إِلَيْهِمْ، لَا فِي ذَاتِهَا، وَلَا فِي وَصْفِهَا، ثُمَّ أَمَرَ بِإِحْسَانٍ خَاصٍّ، لَهُ مَوْقِعٌ كَبِيرٌ، وَهُوَ الْإِحْسَانُ إِلَى مَنْ أَسَاءَ إِلَيْكَ فَإِذَا أَسَاءَ إِلَيْكَ مُسِيءٌ مِنَ الْخَلْقِ، خُصُوصًا مَنْ لَهُ حَقٌّ كَبِيرٌ عَلَيْكَ، كَالْأَقَارِبِ، وَالْأَصْحَابِ، وَنَحْوِهِمْ، إِسَاءَةً بِالْقَوْلِ أَوْ بِالْفِعْلِ، فَقَابِلُهُ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ، فَإِنَّ قَطْعَكَ فَصْلَهُ، وَإِنْ ظَلَمَكَ، فَأَعْفُ عَنْهُ، وَإِنْ تَكَلَّمَ فِيكَ، غَائِبًا أَوْ حَاضِرًا، فَلَا تَقَابُلُهُ، بَلْ أَعْفُ عَنْهُ، وَعَامِلُهُ بِالْقَوْلِ اللَّيِّنِ، وَإِنْ هَجَرَكَ، وَتَرَكَ خِطَابَكَ، فَطَيِّبْ لَهُ الْكَلَامَ، وَأُبْذِلْ لَهُ السَّلَامَ، فَإِذَا قَابَلْتَ الْإِسَاءَةَ بِالْإِحْسَانِ، حَصَلَ فَائِدَةٌ عَظِيمَةٌ» (١٤).

(١٣) [سورة فصلت: (٣٤)].

(١٤) [تفسير السعدي: (ص: ٧٤٩)].

٢ / قال - جَلَّ وَعَلَا -: ﴿وَإِذْ أَسْرَأَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُ، وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ، قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾ (١٥)، فالمؤمن حين يؤمر بالتغافل يكون ذلك انقيادًا لأمر الله تعالى وترفعًا عن الدنيا وعن سفاسف الأمور، ولا يترفع عن الدنيا إلا كريم.

ثالثًا: مقتطفات من السنة النبوية من كلام خير البشرية - ﷺ - :

جاء في السنة النبوية ما يدل على التغافل باعتباره خلق كريم، في إطار الحلم وغض الطرف عن الإساءة في القول والعمل، والإعراض عن الهفوات والزلات، ولعلي أذكر هما بعضًا من نماذج الواردة عن التغافل في السنة المحمدية:

١ / قال الحسين: سألت أبي عن سيرة النبي - ﷺ - في جلسائه: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - يَتَغَاوَلُ عَمَّا لَا يَشْتَهِي، وَلَا يُؤَيِّسُ مِنْهُ رَاجِيهِ وَلَا يُخَيِّبُ فِيهِ» (١٦).

وفي هذا دلالة على التغافل والإعراض عما لا يستحسنه من الأقوال والأفعال؛ تلطفًا بأصحابه ورفقًا بهم (١٧).

٢ / عن عائشة أم المؤمنين - ﷺ - قالت: دخل رهط من اليهود على رسول الله - ﷺ -، فقالوا: السام عليكم، قالت عائشة - ﷺ -: ففهمتها فقلت: وعليكم السام واللعنة، قالت: فقال رسول الله - ﷺ -: «مَهْلًا يَا عَائِشَةُ! إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي

(١٥) [سورة التحريم: (٣)].

(١٦) [الشمايل المحمدية للترمذي: (ص: ٣٩٣)].

(١٧) [منتهى السؤل على وسائل الوصول إلى شمائل الرسول: (٢ / ٤٧٨)].

الأمر كله» فقلت: يا رسول الله، أولم تسمع ما قالوا؟ قال رسول الله - ﷺ -: «قد قلتُ: وعليكم» (١٨).

قال النووي - رَحِمَهُ اللهُ -: «في هذا الحديث استِحْبَابُ تَغَاْفُلِ أَهْلِ الْفَضْلِ عَنْ سَفَهِ الْمُبْطِلِينَ إِذَا لَمْ تَتَرْتَّبْ عَلَيْهِ مَفْسَدَةٌ» (١٩).

٣/ عن عائشة أم المؤمنين - رَحِمَهَا اللهُ - أن رسول الله - ﷺ - قال: «أقبلوا ذوي الهيئات عثراتهم إلا الحدود» (٢٠).

فالعفو عن الزلات من محاسن الشريعة الإسلامية، والتغافل عن بعض الزلات من هدي النبي - ﷺ - في التربية والإصلاح.

رابعاً: نماذج من درر السلف الصالح في التغافل:

١/ دخل عمر بن عبد العزيز - رَحِمَهُ اللهُ - المسجد في ليلة مظلمة، فمر برجل نائم فعثر به، فرفع الرجل رأسه وقال: أمجنون أنت؟ - وما علم أنه أمير المؤمنين -، فقال عمر: «لا»، فهم به الحرس، فقال عمر: «مه، إِنَّمَا سَأَلَنِي أَمْجُنُونٌ؟ فَقُلْتُ: لا» (٢١).

٢/ قيل أن صديقاً حدث له ما يغضبه من ابن السماك - رَحِمَهُ اللهُ - فقال له: الميعاد بيني وبينك غداً نتعاتب، فرد عليه ابن السماك - رَحِمَهُ اللهُ - بأبلغ جواب قال: «بَلْ بَيْنِي وَبَيْنَكَ غَدًا نَتَغَاْفَرُ» (٢٢).

(١٨) [صحيح البخاري: (٦٠٢٤)، صحيح مسلم: (٢١٦٥)].

(١٩) [شرح النووي على مسلم: (١٤٧ / ١٤)].

(٢٠) [سنن أبي داود: (٤٣٧٥)، الحديث ضعيف وله شواهد].

(٢١) [مختصر منهاج القاصدين: (ص: ١٨٣)].

(٢٢) [شعب الإيمان: (١٠ / ٥٦٢)].

٣/ قال أيوب السخيتاني - رَحِمَهُ اللهُ -: «لَا يَسْتَوِي الْعَبْدُ - أَوْ لَا يُسَوِّدُ الْعَبْدُ - حَتَّى يَكُونَ فِيهِ خَصْلَتَانِ: الْيَأْسُ مِمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ، وَالتَّغَافُلُ عَمَّا يَكُونُ مِنْهُمْ» (٢٣).

٤/ قال ابن الأثير - رَحِمَهُ اللهُ - متحدثاً عن صلاح الدين الأيوبي - رَحِمَهُ اللهُ -: «وَكَانَ، رَحِمَهُ اللهُ كَرِيمًا، حَلِيمًا، حَسَنَ الْأَخْلَاقِ، مُتَوَاضِعًا، صَبُورًا عَلَى مَا يَكْرَهُ، كَثِيرَ التَّغَافُلِ عَنْ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِ، يَسْمَعُ مِنْ أَحَدِهِمْ مَا يَكْرَهُ وَلَا يُعْلِمُهُ بِذَلِكَ وَلَا يَتَغَيَّرُ عَلَيْهِ ... ثُمَّ طَلَبَ الْبَارِدَ أَيْضًا فَأَخْضَرَ، فَلَمَّا قَارَبَهُ سَقَطَتِ الطَّاسَةُ عَلَى الْأَرْضِ، فَوَقَعَ الْمَاءُ جَمِيعُهُ عَلَيْهِ، فَكَادَ يَهْلِكُ، فَلَمْ يَزِدْ عَلَى أَنْ قَالَ لِلْغُلَامِ: إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ قَتْلِي، فَعَرِّفْنِي! فَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ، فَسَكَتَ عَنْهُ» (٢٤).

وهذه هي أخلاق الكبار وسادة القوم، وعلى الإنسان إذا ما أراد أن يعيش سعيداً مسروراً، محبوباً، معدوداً في جملة الكبار أن يتحلى بها بهذه الخصلة.

٥/ وهذا حاتم الأصم، أتدري لماذا سمي بالأصم؟ قال أبو علي الدقاق - رَحِمَهُ اللهُ -: «جَاءَتِ امْرَأَةٌ فَسَأَلَتْ حَاتِمًا عَنْ مَسْأَلَةٍ؟ فَاتَّفَقَ أَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا صَوْتُ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ. فَخَجَلَتْ. فَقَالَ حَاتِمٌ: ارْفَعِي صَوْتَكَ. فَأَوْهَمَهَا أَنَّهُ أَصَمُّ. فَسَرَّتِ الْمَرْأَةُ بِذَلِكَ. وَقَالَتْ: إِنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ الصَّوْتَ. فَلَقِبَ بِحَاتِمِ الْأَصَمِّ وَهَذَا التَّغَافُلُ هُوَ نِصْفُ الْفُتُوَّةِ» (٢٥).

هذا الأدب الذي وقع من حاتم الأصم يمكن أن نسميه (أدب التغافل)، وهو من أدب السادة، أصحاب الأخلاق العالية، أما أصحاب الأخلاق الواهية، فلا يعرفون مثل

(٢٣) [حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: (٥ / ٣)].

(٢٤) [الكامل في التاريخ: (١٠ / ١١٩)].

(٢٥) [مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: (٢ / ٣٢٨)].

هذا الأدب، ولذلك تراهم لدنو همتهم يحصون الصغيرة قبل الكبيرة، ويجعلون من الحبة قبة.

٦/ قال ابن حزم - رَحِمَهُ اللهُ -: «أَحْرُصْ عَلَى أَنْ تُوصَفَ بِسَلَامَةِ الْجَانِبِ، وَتَحَفَّظَ مَنْ أَنْ تُوصَفَ بِالذَّهَاءِ فَيَكْثُرَ الْمُتَحَفِّظُونَ مِنْكَ؛ حَتَّى رُبَّمَا أَضَرَ ذَلِكَ بِكَ، وَرُبَّمَا قَتَلَكَ» (٢٦).

خامساً: التغافل منهاج حياة المسلم:

للتغافل أهمية ليست بالهينة في حياة المسلم، إذ أن الذي يتصيد الأخطاء للناس لا يزداد إلا تعباً وهمًا ووهناً، ويتجنبه الناس، لا بد أن نوقن أن كل ابن آدم خطاء ولا عصمة لبشر إلا من عصمهم الله تعالى، وأمر مهم قد يخفى على البعض، هو أنه لا بد أن يكون ميزاننا وتقييمنا على الآخرين قائم على العدل، فلا ننسى صالح أعمالهم لمجرد هفوة، أو نقف على الزلة وننسى الحسنات الكثيرة، فما من أحد إلا وله هفوة، حتى من أهل الصلاح والاستقامة، وأذكر هنا التفاتة جميلة من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية حيث قال - رَحِمَهُ اللهُ -: «لَيْسَ مِنْ شَرِّ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ الْمُتَّقِينَ إِلَّا يَكُونُوا مُخْطِئِينَ فِي بَعْضِ الْأَشْيَاءِ خَطَأً مَغْفُورًا لَهُمْ؛ بَلْ وَلَا مِنْ شَرِّهِمْ تَرَكُ الصَّغَائِرِ مُطْلَقًا بَلْ وَلَا مِنْ شَرِّهِمْ تَرَكُ الْكِبَائِرِ أَوْ الْكُفْرَ الَّذِي تَعْقِبُهُ التَّوْبَةُ» (٢٧).

فالتغافل لا يضحك الأمور، بل يجعلها تمضي على أنها زلة عابرة وهفوة لا قيمة لها، لأن الإنسان لو وقف على كل زلة لما بقيت مودة بينه وبين الآخرين، فالمسلم يغض الطرف ويتغافل عن الزلات ويكون هين لين في تعامله مع الآخرين وخاصتاً مع من له حق عليه كالوالدين والزوجة أو الزوج، أو الأقارب والجيران وغيرهم.

(٢٦) [رسائل ابن حزم: (١/ ٣٤٧)].

(٢٧) [مجموع الفتاوى: (١١/ ٦٦)].

حاجة المسلم إلى التغافل في العلاقات:

التغافل بين الأزواج:

من فقه الحياة الزوجية التغاضي عن دقيق المحاسبة؛ ولكل من الزوجين على الآخر حق، وربما كانت الدقة في المراقبة والشدة في المحاسبة التي تؤدي إلى عدم الاستقرار، ففي التغافل والمرونة استدامة السعادة، وبقاء الألفة، والمعاشرة الجميلة، كل ذلك ضمن الضوابط الشرعية، وقد تغافل رسول الله - ﷺ - عن حديثه لبعض زوجاته، فقال الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿وَإِذْ أَسْرَأَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضَهُ، وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ، قَالَتْ مَنْ أَنْبَاكَ هَذَا قَالَ نَبَأَنِي الْعَلِيمُ الْخَيْرُ﴾ (٢٨).

قال أبو المظفر السمعاني - رَحِمَهُ اللَّهُ - : «وَقَوْلُهُ: ﴿عَرَفَ بَعْضَهُ، وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ﴾ أي: عرفها بعض ما كَانَ بَيْنَهُمَا، وَأَعْرَضَ عَنِ الْبَعْضِ تَكْرِمًا وَصَفْحًا، وَالتَّغَاوُلُ عَنْ كَثِيرٍ مِنَ الْأُمُورِ مِنْ شِيْمَةِ الْعُقَلَاءِ وَأَهْلِ الْكَرَمِ. وَيُقَالُ: الْعَاقِلُ هُمُ الْمُتَغَاوُلُ» (٢٩).

ففي هذه الآية الكريمة أن رسول الله - ﷺ - حدث حفصة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - سرًا وطلب منها ألا تذكره لأحد فذكرته لعائشة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -، فأطلع الله رسوله - ﷺ - على ما فعلت حفصة، فرجع وأعاد عليها وذكر لها بعض ما دار بينها وبين زميلتها دون ذكر جميع ما اطلع عليه من قبل الله، ذكر لها بعض كلامها وترك بعضه، لتعرف أنه يعرف وكفى، رسول الله - ﷺ - يعلم كل ما دار، ولكنه تغافل عنه كرمًا منه وهذا من طيب أخلاقه - ﷺ - .

(٢٨) [سورة التحريم: (٣)].

(٢٩) [تفسير السمعاني: (٥ / ٤٧٢)].

وورد عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: «جَلَسَ إِحْدَى عَشْرَةَ امْرَأَةً، فَتُعَاهِدَنَّ وَتُعَاقِدَنَّ أَنْ لَا يَكْتُمَنَّ مِنْ أَحْبَارِ أَزْوَاجِهِنَّ شَيْئًا، ... قَالَتِ الْخَامِسَةُ: زَوْجِي إِنْ دَخَلَ فَهَدْ، وَإِنْ خَرَجَ أَسَدٌ، وَلَا يَسْأَلُ عَمَّا عَهْدٌ...» (٣٠).

فقد وصفته بالغفلة عند دخول البيت على وجه المدح له (٣١)، بمعنى أنه شديد الكرم كثير التغاضي، لا يتفقد ما ذهب من ماله، ولا يلتفت إلى ما يرى في البيت من المعاييب بل يسامح ويتجاهل ويتغاضي، فلا استمرارية الود والاحترام بين الطرفين، لا بد من تمرير بعض الأمور وعدم التدقيق فيها.

التغافل مع الأبناء:

بأن نقلل من انتقاداتنا لأولادنا، حيث أن كثرة تعليقاتنا على تصرفاتهم لها آثار غير حميدة على شخصياتهم، كما تجعلهم يتجنبون مجالستنا والتحدث إلينا، فلا ينبغي محاسبة الأبناء على كل أخطائهم وملاحقتهم وتذكيرهم بها بين الفترة والفترة.

وخاصةً في مرحلة المراهقة، فالمراهقة فترة حرجية وصعبة على كل من الأبناء والآباء، فهي فترة انتقالية من عالم الطفولة إلى الشباب والنضوج، فتحتاج إلى الحكمة وعدم التدقيق في صغائر الأمور، والتغافل حتى تمر هذه المرحلة بسلام وأمان، بعض الآباء وللأسف الشديد كأنه ضابط عسكري في بيته، يقف على كل صغيرة وكبيرة، هذا ينفر منه الأبناء وأن كان أباهم، النفس مفطورة على حب اللين والرفق، والرحمة والعطف.

تغافلوا عن الأبناء، بالتظاهر بعدم معرفة النقص أو العيب فيهم وتقويمهم بطريقة غير مباشرة فإن ذلك أدعى للتغيير والاستجابة لكم، فالآباء عليهم تقبل والتغاضي عما لا يعجبهم فيه من صفات، أو بعض التصرفات، هذا الخلق للأسف منسي عند بعض

(٣٠) [صحيح البخاري: (٥١٨٩)، صحيح مسلم: (٢٤٤٨)].

(٣١) [فتح الباري لابن حجر: (٩ / ٢٦١)].

الوالدين على الرغم من أهميته في التربية، وخاصتاً في هذا الجيل الذي يحتاج إلى المزيد من الدراية والعناية.

أما التغافل مع الإخوة والأقارب:

فهو من أبواب الرحم الواسعة، فالتغافل عن الأخطاء بين الإخوة بر وصلة، ولا يملك التغافل مع القريب -في الغالب- إلا سلم صدره، وطابت سريرته، وامتلاً قبله إيماناً و يقيناً، ولنا أسوة حسنة في يوسف وإخوته حيث قال الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -: ﴿قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ (٣٢).

قال القرطبي - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «وَأَمَّا الرَّحْمُ الْخَاصَّةُ فَتَزِيدُ لِلنَّفَقَةِ عَلَى الْقَرِيبِ وَتَقْصِدُ أَحْوَالَهُمُ وَالتَّغَافُلُ عَنْ زَلَّاتِهِمْ وَتَتَفَاوَتْ مَرَاتِبُ اسْتِحْقَاقِهِمْ» (٣٣).

التغافل في مجالات العمل:

حيث أن مجاهدة النفس والترفع عن الأخطاء من زملاء العمل شيء محبب وجميل، يقضي الكثير من الناس اليوم الساعات الطويلة في عمله، ولا شك أن تواجد الإنسان مع الآخرين والاحتكاك بهم في أخذ القرارات، أو في القيام ببعض الأعمال المشتركة له بعض السلبيات، إذا أن اختلاف الآراء أمر مألوف ولا يمكن لمجموعة أو حتى بين اثنين من الناس أن يتفقوا على كل الأمور فيما بينهم.

إذ لابد من بعض المنغصات في مجال العمل، بالإضافة أن العامل يقضي ساعات في العمل وهذا يعني جهد كبير يبذله ويتعرض للضغوطات، فقد تصدر بعض ردود الأفعال الغير مرغوبة بسبب الجهد أو الضغط، فمتاعب العمل طبيعية، ومتكررة،

(٣٢) [سورة يوسف: (٧٧)].

(٣٣) [فتح الباري: (١٠ / ٤١٨)].

هنا تظهر أهمية هذه الخصلة وهي التغافل عن بعض الزلات ومجاهدة النفس في ذلك، يحتاج الانسان أن يجتهد في التغاضي عن صغائر الأمور حتى تدوم الألفة وحتى تكون بيئة العمل بيئة نظيفة، هادئة، صحية حتى يقوم كل منهم بدوره الموكل به على أتم وجه.

التغافل مع الخدم:

فعن ابن عمر -رضي الله عنه- يقول: «جاء رجلٌ إلى النبي -ﷺ- فقال: يا رسول الله، كم أعفو عن الخادم؟ فصمت رسول الله -ﷺ- ثم قال: يا رسول الله، كم أعفو عن الخادم؟ فقال: كل يوم سبعين مرة»^(٣٤)، وعن أنس -رضي الله عنه- قال: «خدمتُ رسول الله -ﷺ- عشرَ سنين، والله ما قال لي: أفا قطُّ، ولا قال لي لشيءٍ: لم فعلتَ كذا؟ وهَلَا فعلتَ كذا؟»^(٣٥).

تعامل رسول الله -ﷺ- مع الخدم خير معاملة، فكان يُقابل الإحسان بالإحسان والثناء، أمّا في حال الوقوع بالخطأ منهم فقد كان رسول الله ليّناً رقيقاً معهم، وهل يعقل أن أنس خدم الرسول -ﷺ- عشر سنوات ولم يصدر منه خطأ؟ أو لم يتأخر عن خدمة الرسول -ﷺ- يوماً ما؟

قال أنس -رضي الله عنه- قال: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا، فَأَرْسَلَنِي يَوْمًا لِحَاجَةٍ، فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَا أَذْهَبُ، وَفِي نَفْسِي أَنْ أَذْهَبَ لِمَا أَمَرَنِي بِهِ نَبِيُّ اللَّهِ -ﷺ-، فَخَرَجْتُ حَتَّى أَمَرَ عَلَى صَبِيَّانٍ وَهُمَا يَلْعَبُونَ فِي السُّوقِ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- قَدْ قَبِضَ بِقَفَايَ مِنْ وَرَائِي، قَالَ: فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَقَالَ: يَا أُتَيْسُ أَذْهَبْتَ حَيْثُ أَمَرْتُكَ؟ قَالَ قُلْتُ: نَعَمْ، أَنَا أَذْهَبُ، يَا رَسُولَ اللَّهِ»^(٣٦)، لم يعنفه، أو يوبخه، إنما تغافل عن تأخيره، بل تبسم في وجهه أيضاً، وقال له بكل هدوء أذهب حيث أمرتك.

(٣٤) [أخرجه الترمذي: (١٩٤٩)، وصححه الألباني].

(٣٥) [أخرجه مسلم: (٢٣٠٩)].

(٣٦) [أخرجه مسلم: (٢٣١٠)].

فقد دعا - ﷺ - إلى معاملة الخدم معاملة إنسانية كريمة، وإلى الشفقة عليهم، والبرّ بهم وعدم تكليفهم ما لا يطيقون من الأعمال، فقال - ﷺ -: «إِخْوَانُكُمْ خَوْلُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ» (٣٧).

التعامل مع الخدم يجب أن يكون فيه احترام ورحمة، للأسف قد تقوم بعض السيدات بتوبيخ الخادمة وتعنيفها أو تهديدها على كل خطأ يصدر منها، وكأنها معصومة وال ينبغي أن تخطيء! فسيسأل الإنسان عن الإساءة وسوء المعاملة لهم.

التغافل مع النفس:

هل فكرتي يوماً أن تستخدمى هذا الخلق الطيب مع نفسك!

كثيراً ما نركز على المشكلات والاهتمامات الصغيرة ونضخمها في أنفسنا، يعيش الكثير من الناس في قلق دائم مع نفسه، نغضب ونزعج بشكل مبالغ فيه إذا لم تتحقق بعض الأمور كما نريد!

نضخم أمور في أنفسنا وهي صغيرة، نركز على المشكلات والسلبيات التي تمر بنا، وننسى موج وفوج الإيجابيات التي نتمتع بها، لا تطلبي الكمال، الكمال لله، القلق والتدقيق في صغائر الأمور يعيق الإنسان عن أمور كثيرة، وأهمها راحة البال، والاطمئنان، وكيف يعبد الإنسان ربه وهو مشغول، حزين، مضطرب!، كثير التفكير في التفاهات، فكما ينبغي أن تكونى رحيمة مع الآخرين، كونى رحيمة مع نفسك.

قال - ﷺ -: «إِنَّ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا» (٣٨)، يعيش البعض في قلق؛ حزناً على الماضي، أو التفكير في المستقبل، هذا لا ينبغي، لأن الوقت الحاضر هو الوقت الوحيد الذي نملكه، والوقت الوحيد الذي نسيطر عليه، فعندما نركز على الوقت الحاضر، فإننا

(٣٧) [أخرجه مسلم: (٣٠)].

(٣٨) [أخرجه الترمذي: (٢٤١٣)].

نلقي بالقلق خارج عقولنا، الماضي ماضي، انقضى، ليس لك خيار أو القدرة في تغييره، والمستقبل بيد الله وحده.

لا تهتمي للدنيا، الذي ينبغي هو الاهتمام بالآخرة وعمارتها، إذا لم تستطعي أن تبني بيت العمر الذي تطمحين له، ابني بيوت في الجنة وما أسهلها، وما أجملها، وهي الباقية، إذا لم يكن عندك كنوز من الأموال أو الجواهر فاكثري من كنوز الدنيا وجواهرها وما أسهل الحصول عليها، قَالَ - ﷺ -: «أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَلِمَةٍ مِنْ كُنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ؟» قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ فَذَاكَ أَبِي وَأُمِّي، قَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ» (٣٩).

بعض النساء تريد أن تعيش حياة مثالية، هذه تتعب نفسها قبل الآخرين، هذه تعيش في أسى، وحزن، فتغافلي عن أمور الدنيا التي لم ييسرها الله لك، وركزي واهتمي بأمور الآخرة فوالله أنها أنفع لك وأخير لك من الدنيا كلها بما فيها، نسأل الله أن يصلح حالنا وبالنسبة ويعلق قلوبنا بالآخرة، وأن يعيدنا من شرور أنفسنا، وأن يرزقنا السعادة والرضا في الدنيا والآخرة.

التغافل مع عموم الناس:

ليس هناك إنسان كامل، ليس هناك خير تماماً وإلا كان من الملائكة، ولا إنسان مليء بالشر تماماً وإلا كان من الشياطين، فالكيس العاقل هو الفطن المتغافل عن الزلات، وسقطات اللسان:

إِذَا أَنْتَ عِبْتَ النَّاسَ عَابُوا وَأَكْثَرُوا	عَلَيْكَ وَأَبَدُوا مِنْكَ مَا كَانَ يُسْتَرُّ
إِذَا مَا ذَكَرْتَ النَّاسَ فَاتَرَكْ عَيُوبَهُمْ	فَلَا عَيْبَ إِلَّا دُونَ مَنَامِكَ يُذَكَّرُ
فَإِنْ عَبْتَ قَوْمًا بِالَّذِي لَيْسَ فِيهِمْ	فَذَاكَ عِنْدَ اللَّهِ وَالنَّاسِ أَكْبَرُ (٤٠)

(٣٩) [أخرجه البخاري: (٤٢٠٥)].

(٤٠) [روضة العقلاء ونزهة الفضلاء: (ص: ١٢٥)].

قال ابن القيم - رَحِمَهُ اللهُ -: «وَأَمَّا مُرُوءَةُ التَّوَكُّلِ: فَتَرْكُ الْخِصَامِ، وَالْمُعَاتَبَةِ، وَالْمُطَالَبَةِ وَالْمُمَارَاةِ، وَالْإِغْضَاءِ عَنْ عَيْبِ مَا يَأْخُذُهُ مِنْ حَقِّكَ. وَتَرْكُ الْإِسْتِقْصَاءِ فِي طَلَبِهِ. وَالتَّغَاوُلُ عَنْ عَثَرَاتِ النَّاسِ، وَإِشْعَارُهُمْ أَنَّكَ لَا تَعْلَمُ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ عَثْرَةً» (٤١).

حيث لا تخلو حياتنا من مشاكل ومضايقات عديدة تأتي من هنا أو هناك، والحياة ليس مثالية، فيها العديد من المنغصات مما تؤثر على أخلاقيات الناس، فامتصوا سخط الآخرين بالتغاضي عنها، فالنفوسُ مجبولةٌ على محبة من لم يحصِ عليها المعايير؛ كما كان إحصاء المعائب سبب نفورهم ممن أحصاها، فالمسلم يجب عليه أن يتحلى بكافة الصفات الطيبة، والتي من بينها التغافل، وكذلك التسامح والعفو والرحمة والعدل، والبشاشة، والعديد من الصفات الطيبة والقيم الحميدة، بالإضافة يحرص الإنسان على العيش في حياة يسودها الأمان والسلام.

فإن لم تكن قد تغافلت عن ذلك فيما مضى؛ فلديك فيما بقي من عمرك فرص جديدة تستحق الاغتنام، واغتنامها يكون بالتغاضي والتغافل وغض الطرف وعدم الالتفات إلى صغائر الأمور، وترك التدقيق في كل صغيرة وكبيرة، والتماس الأعذار للآخرين، لأن التغافل سبيل العافية والراحة النفسية، كما أنه من أعظم العون على التفرغ للمهمات من الأمور، الدنيا صغيرة وكل ما فيها صغير، الدنيا لا تساوي موضع السوط في الجنة، ولا تقدر بدرهم عند الرب، فإذا اشتغل الإنسان بصغائر الأمور لما بقي له وقت للأمر المهمة في حياته.

حياة الإنسان واحدة في هذه الدنيا ولن تتكرر، لا ينبغي أن يهتم الإنسان بصغائر الأمور، وينبغي كل ما تقدم الإنسان بعمره أن يحفظ وقته، وأن يتعد عن كل ما يكدر خاطره لأجل أن يتفرغ لعبادة ربه، ولله لا شيء يستحق الإنسان أن يضيع وقت فيه إلى ما كان للآخرة، المسلم مأمور أن يحفظ وقته وأن يترفع عن مساوئ الأخلاق، ولا ينشغل باتفاهات، فالدنيا أيامها معدودة والأنفاس فيها محدودة، ولا تساوي جناح

(٤١) [مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: (٢/ ٣٣٥)].

بعوضة، دربوا أنفسكم فيها على الصبر، ولا تنسوا الغاية التي خلقنا الله لأجلها فيها، خلقنا فيها لنعبده، والمسلم يتعبد الله في علاقاته مع الآخرين، بالتغافل ووجعها من محاسن الأخلاق، وبهذا يحصل للعبد ما لا يحصل له بطول قيام وصيام، قال الفضيل - رَحِمَهُ اللهُ -: «لَمْ يُدْرِكْ عِنْدَنَا مَنْ أَدْرَكَ بِكَثْرَةِ صِيَامٍ وَلَا صَلَاةٍ، وَإِنَّمَا أَدْرَكَ بِسَخَاءِ الْإِنْفُسِ، وَسَلَامَةِ الصَّدْرِ، وَالنَّصْحِ لِلْأُمَّةِ» (٤٢).

فلنتغافل لتستقيم لنا الحياة وتصفو، قال بعض الحكماء: وجدت أكثر أمور الدنيا لا تصلح إلا بالتغافل.



وفي الختام

بارك الله في الجميع، وأسأل الله أن يجعل هذه الساعة قربة وأن يثقل بها موازين حسناتنا يوم القيامة، ونتختم محاضرات هذه بقصيدة بديعة المعاني للإمام الشافعي - رَحِمَهُ اللهُ -:

أَحِبُّ مِنَ الْإِخْوَانِ كُلِّ مُوَاتِي	وَكُلِّ غَضِيضِ الطَّرْفِ عَنْ عَثْرَاتِي
يُؤَافِقُنِي فِي كُلِّ أَمْرٍ أُرِيدُهُ	ويحفظني حياً وبعد مماتي
فَمَنْ لِي بِهَذَا؟ لَيْتَ أَنِّي أَصَبْتُه	لَقَاسَمُتُهُ مَالِي مِنَ الْحَسَنَاتِ
تَصَفَّحْتُ إِخْوَانِي فَكَانَ أَقْلَهُمْ	على كثرة الإخوان أهل ثقاتي (٤٣)

هذا والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

